في بيداغوجيا بناء الاختبار*

أ. يحي دعاس
المركز الجامعي سوق أهراس

يشير مصطلح بيداغوجيا(Pédagogie) حسب التقليد اليوناني، إلى مجموع الخطابات والممارسات التي كانت ترمي إلى تدبير انتقال الطفل من حالة الطبيعة إلى حالة الثقافة، وأن تجعل منه، باختصار، مواطنا صالحا. (1)

وقد عرفها دور كايم (E.Durkheim) بقوله:"البيداغوجيا نظرية تطبيقية للتربية تستعير مفاهيمها الأساسية من علم النفس وعلم الاجتماع ، ولا تدرس البيداغوجيا النظم التربوية دراسة علمية،وإنما تفكر فيها بغرض مد نشاط المدرس التربوي بأفكار جديدة". (2)

والبيداغوجيا في عصرنا، لفظ عام ينطبق على كل ما له ارتباط بالعلاقة القائمة بين معلم ومتعلم، صغيرا كان أم راشدا. ويمكننا الميز بين مجالين اثنين يستعمل فيهما المصطلح.

فأما الأول فمعرفي، يقوم على تفكير فلسفي وسيكولوجي في غايات وتوجيهات الأفعال المطلوب ممارستها في وضعية التعلم على المتعلم أو من قبله، وتندرج ضمن هذا المجال مبادئ كثيرة، منها مثلا مبادئ التبسيط والتدرج والمنافسة، والمنطلق نظريات طرائق التدريس المختلفة تقليدية وحديثة.

وأما الثاني، فنشاط عملي، يتكون من مجموع سلوكات المدرس والمتعلمين داخل قاعات الدرس، من تطبيق البرامج المسطرة في محاضرات وتطبيقات على ضوء طرائق التدريس السالف ذكرها بالارتكاز على وسائل تبليغ المعلومات، وما يصاحب ذلك كله من تقييم الفعل التعليمي بمختلف أنواع التقييم** وخاصة تقييم المكتسبات (Evaluation des acquis)، وفي ميدان البيداغوجيا يكون تقييم الأفراد أو الأشياء أو الحوادث بناء على نتائج القياس.

(3) التقييم فيما يهدف—إلى اختبار قيمة وفعالية ما نعلمه:البرامج (Programmes) وكيف نعلم:الطرائق، (Méthodes) وبأية وسيلة(moyens). (3)

(4).و منهج لتصحيح التعليم وتحسينه وتوجيهه في ضوء ما يلاحظ من ثغرات هنا وهناك، كما انه إجراء يمكن بوساطته اختبار نتائج التعلم التي يحصل عليها الطلبة واتخاذ قرارات صائبة على ضوء هذه النتائج، وهو ما يسمى تقيم النتائج (évaluation des résultats)وهذا التقييم هو منطلق الأستاذ أو المجلس البيداغوجي بعد ذلك، لاتخاذ قرارات تصحيحية قد تمس طريقة التدريس ذاتها. (4) .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

والواقع أن التقييم أشمل مما ألمحت إليه بكثير، إذ أنه يتناول كل عناصر التدريس من أهداف وطرائق وبرامج ووسائل، وإضافة إلى ما ذكرت، فهو بمثابة إجراء تصحيحي لكل مكونات العملية التعليمية، ولا يقتصر على المتعلم وحده.

ومجالات العملية التقويمية واسعة، يمكننا تحديدها بالأسئلة الآتية: لماذا نقوم ؟ ماذا نقوم ؟ متى نقوم ؟ من نقوم ؟ وكيف نقوم ؟

والسؤال الأخير يدفعنا إلى تناول مسألة الاختبارات(الامتحانات)[5] بوصفها إحدى أدوات القياس، تنطوي على مجموعة من الأسئلة تختار وتصاغ بطريقة علمية، بحيث توفر لدى إجابة الطالب عنها قيمة رقمية لإحدى خصائصه المعرفية كالتحصيل والفهم والذكاء والابتكار، أو غير معرفية كالاتجاهات والميول والقيم، وبخاصة في اختبارات العلوم الإنسانية.

وقد عرف الاختبار(Epreuve) تعريفات كثيرة متقاربة مفادها أنه أداة قياس تتكون من مجموعة أسئلة مستقاة انطلاقا من الأهداف المراد قياس مدى تحقيقها، بما يسمح بالكشف عن أداءات المتعلمين(الطلبة) بغرض تقويمها، وإنه يتعلق في الغالب بمضمون معين من مقرر تعليمي، يرمي إلى فحص مكتسبات الطلبة التعليمية.

والاختبار أنواع، أشهرها في الجامعة الجزائرية " الاختبار الكتابي ذو التصحيح الموضوعي (Epreuve écrite à correction objective) ".

وهو كما ورد في معجم علوم التربية: « اختبار لقياس معارف ومعلومات المتعلم يتكون من أسئلة متعددة قصيرة ذات الاختبار المتعدد...اختبار تقويم على وضعية تقويمية تتطلب من المتعلم أداء وإنجازا مكتوبا للإجابة عن أسئلة جزئية أو نقالية."[6].

ثم إن بناء اختبار ما ليس بالأمر العشوائيالمكتسبات ومدىاعد منهجية واعتبارات موضوعية، فعلى الأستاذ أن يحدد الأهداف المرجوة من كل اختبار، والقدرات والمهارات الواجب تقويمها في الاختبارات التي يطرحها، مما يدعوه قبل مواعيد الامتحانات، إلى دراسة البرامج (المقررات)وتحديد المعارف والقدرات والمهارات وهو أمر ضروري، يسهر الأستاذ على تحقيقه في أثناء تدريسه.وما الاختبار—كما سلف— إلا تقويم لهذه المكتسبات ومدى تحقيقها.

وإذا تحقق ذلك ميدانيا تحققت معه عدة أهداف، يمكننا إجمالها في تقويم الأهداف والقدرات والمهارات المسطرة في البرامج الرسمية (المفترض تسطيرها) وتدريب الأستاذ على طريقة بناء الاختبارات وعلى تحديد الأهداف والمقاصد، وعلى تقويم هذه الأهداف، ثم بناء الاختبارات وفق قواعد علمية صحيحة محددة المرامي.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

وما يهدف إليه في هذا الشأن:

أ – اختبار مكتسبات سابقة

ب – اختبار القدرة على الربط والاستنتاج.

ج – اختبار مستوى الفهم

د – اختبار القدرة على الإبداع والتغيير.

هـ – اختبار القدرة على إصدار الأحكام والنقد.

و – اختبار القدرة على التعليل .

ومن أهم الشروط الواجب توافرها في الاختبارات: الموضوعية والتمايز.والمقصود بالموضوعية أن يتجنب الممتحن العامل الذاتي في اختيار الأسئلة، ذلك أن الموضوعية تقضي بأن تغطي الأسئلة أكبر نسبة من محاور البرنامج الرسمي وأن تتعدد، إذ السؤال الأوحد(في غير المقال التركيبي)مقص وغير علمي، فالموقف تقويم تحصيلي وليس موضوعيا السؤال عن جزء يسير من البرنامج، وإهمال أغلبية المادة العلمية، فضلا عن الغبن الذي يشعر به كثير من الطلبة بسبب السؤال الأوحد الإقصائي وقد رأينا في بعض الاختبارات التي أشرفنا على إجرائها، كيف أن عددا كبيرا من الطلبة يغادر قاعة الامتحان في الدقائق الأولى مباشرة بعد تلقي مواضيع الاختبار(sujets)، وبعضهم بقي لكنهم ردوا أوراق الإجابة بيضاء.

ومن الموضوعية كذلك، ألا تكون الأسئلة تستهدف الطلبة المتفوقين دون غيرهم ومنها ترك نية التعجيز، فمن الأساتذة—وهم من حسن الحظ قليلون— من يعمد إلى بناء اختبارات جد عويصة، كأنما يستهدف بها فئة فوق الموهوبين(super doués) وهم كما لا يخفى، نادرون

أما التمايز، فالمقصود به أن يكشف لنا الاختبار فئات الطلبة في الفوج الواحد، فئة المتفوقين، فئة المتوسطين، فئة الضعاف.إذ الاختبار الذي يجعل كل الطلبة متفوقين أو ضعافا، هو اختبار غير مميز فلا يصلح لقياس مكتسبات الطلبة وقدراتهم. ومن أمثلة ذلك الاختبارات التي تفرز معدلات الطلبة وكلها بملاحظة حسن، أو تلك التي تستحمرهم، فبعد تصحيح ذي مصداقية جيدة، لا يحصل على أضعف المعدلات (20/10) إلا عدد ضئيل منهم، والشاهد أن أكثر الطلبة الناجحين في مسابقة ما بعد التدرج (الماجستير) في شعبة الرياضيات، التي أجريت بمركزنا الجامعي(أكتوبر2005) كانت معدلاتهمدون20/08 بل إن بعضهم قبل بمعدل20/03. وهي نتائج مؤسفة يمكننا تفسيرها بأحد التفسيرين:فإما أن هؤلاء المرشحين كلهم لم يتلقوا تكوينا رياضياتيا— في أثناء تدرجهم— متوسطا على الأقل، وهذا مرفوض بيداغوجيا، فهو يستدعي إعادة النظر في تسجيل كل الطلبة في العلوم الدقيقة، أو في طبيعة البرامج المقررة عليهم جميعا وهو أمر مستغرب.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

والتفسير الثاني أن هؤلاء المترشحين صفروا في بعض مواد المسابقة أو كانت علاماتهم أكثر من الصفر بقليل.فأين هو مبدأ التمايز؟ وأين هي بيداغوجية بناء الاختبارات ؟ وأخشى ما يخشى أن يخرج علينا من الإقصائيين من يفسر تلك النتائج المتدنية بأن الطلبة كلهم لا يفقهون شيئا في تخصصهم ولا يعقلون !

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقول:ما أحوج مثل هؤلاء الذين يضعون اختبارات تعجيزية إقصائية إلى الاطلاع على كتب البيداغوجيا. بل إن بعض دارسي علم النفس التربوي يرون—وهم محقون—ألا يقبل في التعليم إلا من تلقى تكوينا بيداغوجيا يؤهله لممارسة هذه المهمة العظيمة، فلا ينظر إلى الشهادة العلمية وحدها.

ومما يوصى به في هذا المقام أن يتلقى طلبة دراسات ما بعد التدرج قبل تسجيل مذكرات الماجستير، مادة إجبارية في البيداغوجيا، فهم أساتذة الجامعة في المستقبل القريب، وهذا هو السبيل الوحيد للخروج من هذه الدائرة المغلقة وحتى يترك التساؤل:من يعلم من؟ثم كيف يتصدى للتدريس في الجامعة وفي غيرها من مراحل التعليم الأخرى من لا يعرف شيئا في عالم البيداغوجيا ؟ .

وهذان الشرطان يدفعان إلى توصيان كثير من المربين في مسألة بناء الاختبار بأن تربط أهدافه بأهداف المنهاج، بحيث تقيس في المتعلم قدرات مختلفة أشرنا إلى أشهرها فيما سبق، وأن تكون الأسئلة شاملة بحيث تغطي جزءا كبيرا من المنهاج المقرر، فلا إقصاء ! وأن تكون تلك الأسئلة سليمة التركيب، دقيقة التعبير واضحة المقصد، غير قابلة للتأويل، على أن تكون قابلة لأن يجاب عليها في الوقت المخصص لها (التوقيت المتعارف عليه عندنا ساعتان لكل اختبار). كما يوصى باني الاختبار بتجنب المواضيع الطويلة جدا والتي تأخذ حيزا كبيرا من وقت الطالب، وأن يراعى عند استخدام المصطلحات في امنه). تطابقها مع مصطلحات المنهاج الرسمي.ويجب أن توضع أمام كل سؤال على ورقة الموضوع العلامة الجزئية الخاصة به(وتتفاوت تلك العلامات الجزئية حسب أهمية السؤال والهدف منه) .[7]

و بيداغوجيا بناء الاختبارات، ترشد الأستاذ أن يعد مع كل موضوع اختبار إجابة نموذجية (نموذج الإجابة)وسلم التنقيط.إذ الإجابة النموذجية بمثابة المعيار الثابت الذي تقاس به إجابة المختبرين، حيث تجسد للمصحح أهداف الاختبار ويتحقق عند الالتزام بها، قدر معتبر من العدالة في التصحيح.[8]

ثم إن"سلم التنقيط" أداة ضرورية في كل اختبار لأنه ميزان يمكن المصحح من تقدير إنتاج الطلبة بصفة دقيقة وعادلة، وينشئ بينه وبين زملائه الذين يصححون الاختبار نفسه، تقاربا كبيرا في الحكم والتقدير(بعض الكليات توحد فيها اختبارات الرياضيات مثلا في أفواج السنة الثانية).

وتصحيح الاختبار من أهم عمليات مخطط التقويم، فهو يضع الأستاذ أمام مسؤولية بيداغوجية، تتمثل في ممارسة التقدير الموضوعي لأعمال الطلبة. ***

ما أن العناية بإعداد الأسئلة أولا يوفر كثيرا من عناء التصحيح، وينصح في ذلك بالدقة الصارمة في صياغة السؤال، وتفادي كل خطأ مهما كان نوعه.كما ينصح بقراءة الموضوع (le sujet)حال طبعه،

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

وقبل توزيعه على الطلبة بقصد مراجعة محتواه بدقة، وكذا ما يمكن أن يكون فيه من أخطاء إملائية أو في الترقيم...الخ [9]

ولا تقرأ ورقة الاختبار على الطلبة بل ذلك متروك لهم إذ هو داخل في بيداغوجيا تعويدهم على حسن التروي في المطالعة وعلى فهم مضمون السؤال فذلك نصف الإجابة. والغريب أن بعض الأساتذة لا يزالون يصرون على قراءة أسئلة موادهم على الرغم من لا بيداغوجيا ذلك وغالبا ما يفعلون هذا بعد مرور دقائق معدودات عن بداية الاختبار مما يحدث تشويشا على تركيز الطلبة وهم يفكرون في بناء إجاباتهم .

وينبغي أن نخضع موضوع الاختبار من حيث شكله، إلى النظام المشهور المتعارف عليه، فعلى رأس الورقة (L'entête) يسجل اسم الجامعة والكلية أو المعهد ثم قسم التخصص ومادة الاختبار والمدة (زمن الاختبار)، وبعد ذلك يكون مضمون الاختبار (الموضوع)، فتحرر الأسئلة بنصها واضحا دقيقا – كما أسلفت – ومرتبة على أن يقابل كل سؤال علامته الجزئية، ثم يكون مجموع علامات الأسئلة عشرين نقطة (20 pts).

وبعد تحرير الأسئلة، متدرجة يسجل أسفل الورقة تاريخ الاختبار وتوقيته ثم اسم الأستاذ مدرس المادة وتوقيعه، فإن كان الاختبار مشتركا يكتفى بذكر الأساتذة مدرسي المادة.وفيما يأتي مخطط تقريبي، يمثل شكل ورقة موضوع اختبار:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

المركز الجامعي / سوق أهراس

معهـــد..... الامتـــــحان الجزئي الأول.
قســـــم..... المـــــادة :.....
السنة:ثـانيـــة / تـــــدرج. المـــــدة : ساعـــــتان .

أجـــــب على الأسئلـــــة الآتيـــــة بدقـــــة وإيـــــجاز:

السؤال الأول (06 نقاط)

أ- .....(نقطتان)
ب-.....(نقطتان)
ج -.....(نقطتان)

السؤال الثاني (04 نقاط)

أ -.....(نقطتان)
ب-.....(نقطتان)

السؤال الثالث: (05 نقاط)

أ-.....(ثلاث نقاط)
ب-.....(نقطتان)

السؤال الرابع (05 نقاط)

أ-.....(نقطتان)
ب-.....(ثلاث نقاط)

(انتهى)

الثلاثاء: 20جانفي 003 الأستاذ مدرس المادة (أو الأساتذة مدرسي المادة)
من09 سا إلى 11سا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375

الهوامش:

* – دعاني إلى تناول هذا الموضوع ما لحظته من قلة اطلاع أكثر الأساتذة في هذا الشأن لأنهم لم يتلقوا تكوينا في ذلك أولا، ولأن مراجع البيداغوجيا التي يمكنهم الاستعانة بها نادرة في المكتبة الجامعية، وفي المكتبات العامة، ثم شعوري بواجب النصح لزملائي وإفادتهم ببعض تجربتي البيداغوجية مدرسا في التعليم الثانوي والعالي منذ أكثر من عشرين عاما.

Que sais –je ?ed : P.U.F Voir : Reswaber (j-p) «les pédagogies nouvelles«coll :-(1) Paris . Quardrige, P.U.F. 1988 p 37 Voir : durkheim, E Sociologie et éducation, (2)

** – سوف أعود إلى موضوع التقييم في مقال لاحق إن شاء الله.

(3) ينظر: عبد اللطيف القاربي وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، دار الخطابي للطباعة والنشر، البيضاء، المغرب ط1، 1994 ص 120 – 124.

(4) المرجع نفسه، ص 128 وما بعدها.

(5) كثيرا ما يستعمل "الامتحان " مرادفا لـ " الاختيار "، غير أن امتحان " Examen" أشمل من اختبار " Epreuve " إذ إن الامتحان، غالبا مجموعة اختبارات في مواد تعليمية مختلفة، يتوج الناجح فيها بشهادة خاصة، ومن هذا المنظور فإنه ليس في الجزائر سوى امتحانين اثنين: امتحان شهادة الباكالوريا وامتحان شهادة التعليم الأساسي. وأكثر المصطلحات الخاصة بالامتحانات في الجامعة استعمالا: مراقبة جزئية: (contrôle partiel) ، امتحان شامل:(examen de synthèse)، امتحان الاستدراك (examen de rattrapage).

(6) معجم علوم التربية، المرجع السابق، ص 117 135 –136.

(7) دليل بناء الاختبار في امتحانات الباكالوريا. الديوان الوطني للامتحانات والمسابقات، وزارة التربية / 2000 ص 07.

(08) التقويم التربوي والقياس النفسي / د. جابر عبد الحميد جابرالجيزة، النهضة العربية، الجيزة، مصر ط3، 1998 ص 388.

*** – قد أعود إلى مسألة " تصحيح الاختبار " في مقال لاحق.

(09) المرجع نفسه ص 394.

*** في بعض الشعب كالحقوق والآداب والفلسفة يمكن أن يكون السؤال مقاليا، شرط أن يغطي نسبة كبيرة من محاور البرنامج، وينصح في هذا أن يطرح مقالان أو أكثر يختار الطلبة تناول أحدها إذ إنشاء مقالة واحدة يتطلب وقتا طويلا قد لا تكفي فيه ساعتان.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/375